رسالة في التصوف (تتبع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

الفصل الحادي عشر : في بيان السعادة والشقاوة

اعلم ان الناس لا يخلوا من هذين القسمين او احدهما فاذا تبدّلت حسناته واخلاصه تُبدّلُ جهة شقاوته الى السعادة اي تُبدّل النفسانية الى الروحانية واذا اتبع هواه انعكس الامر واذا استوى الجهتان فالرجاء على الخير كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشرُ امثالها فزاد في الحسنة دون السيئة ووُضع الميزان لاجلها اي السعيد والشقي لان من تبدّل من النفسانية الى الروحانية بالكلية فلا حاجة الى الميزان له فهو يدخل الجنة بغير حساب ومن ترجح حسناته يدخل الجنة بلا عذاب كما قال الله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عشية راضية ومن ترجح سيئاته يُعذّب بقدر جنايته ثم يخرج من النار ان كان له ايمان ويدخل الجنة ومرادنا من السعادة والشقاوة ان الحسنات والسيئات تُبدل احديها بالاخرى كما قال النبي صلعم السعيد قد يشقى والشقي قد يُسعد فاذا غلبت السيئات يكون من اهل النار واذا تاب وعمل صالحاً تتبدّل شقاوته الى السعادة واما المقدّر في الازل من السعادة والشقاوة لكلّ واحد كما قال عليه الصلوة والسلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي شقيّ في بطن امه فليس فيه لاحد بحثٌ لانه من سرّ القدَر ولا يجوز لاحد ان يحتجّ بسر القدَر كما قال صاحب التفسير البخاري رحمه الله تعالى ان كثيرًا من الاسرار يُعلَم ولا يُتكلّم به كسرّ القدَر فان ابليس احال امره على سرّ القدَر فلُعن بذلك وان آدم عليه السلام اضاف عصيانه الى نفسه فاقلع ورُحمَ وفي مناجاة بعض العارفين: الهي انت قدّرت وانت اردت وانت خلقت المعصية في نفسي. فهتف به هاتف: يا عبدي هذا شرط العبودية. فعاد وقال انا اخطأت وانا اذنبت وانا ظلمت نفسي. فعاد الهاتف وقال: انا غفرت وانا عفوت وانا رحمت وقد اوّلوا بان المراد من الآدم في الحديث مجموع العناصر التي تتولد منها القوى البشرية فالتراب والماء مظهر السعادة لانهما مُحيان ومُنبتان العلم والايمان والتواضع في القلب. واما جزء النار

والريح فبالعكس لانها محرقان وميتان فسبحان من جمع بين هذه الاضداد في جسم واحد . سُيل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى بمَ عرفت الله تعالى قال بجمع الاضداد وذلك لان الانسان نسخة امّ الكتاب ومرآة الحقّ جلالًا وجمالًا جامعَ الكونين ويُسمّى كوناً جامعاً عالماً اكبر لان الله تعالى قال : انا خلقت بيدي اي يدى القهر واللطف لانه لا بُدَّ للمرآة من جهتين جهة الكثافة واللطافة فيكون مظهر الاسم الجامع بخلاف سائر الاشياء فانها خُلقت بيد واحدة اي بصفة واحدة إمّا صفة اللطف فقط كالملائكة فهم مظاهر اسم القدوس واما صفة القهر فقط كابليس وذرّياته فهم مظهر اسم الجبار . ولذلك تجبّر وتكبّر عن السجدة لآدم عليه السلام. فالانسان جامعٌ لجميع الخواص من الكون عُلوًّا وسفلًا. فالانبياء معصومون والاولياء ليسوا معصومين وقيل محفوظون بعد كمال الولاية قال شقيق البلخي رحمه الله تعالى علامة السعادة خمسة لين القلب وكثرة البكاء والزهد في الدنيا وقصر الامل وكثرة الحياء . وعلامة الشقاوة خمسة قسوة القلب وجمود العين والرغبة في الدنيا وطول الامل وقلّة الحياء. وقال عليه الصلوة والسلام علامة السعيد اربعة اذا أؤتمن عَدَل واذا عاهد وَفَى واذا حدّث صدق واذا خاصم لم يفجر. وعلامة الشقي اربعة اذا أؤتمن خان واذا عاهد خالف واذا حدّث كذب واذا خاصم فجر ولا يعفو ومن عفا واصلح فاجرُهُ على الله واعلم انّ تبدُّل السعادة الى الشقاوة او عكسه يكون بالتربية كما قال عليه الصلوة والسلام كلّ مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن ابواه يهوّدانه او ينصّرانه او يمجّسانه يدُلّ على ان في كل احد قابلية السعادة والشقاوة فلا يجوز ان يُقال ان هذا سعيدٌ محض او شقيّ محض بل يقال لسعيدٌ اذا غلبت حسناته وكذا عكسه. ومن قال غير هذا فقد ضلّ كالقدريّة قعدوا عن العمل الصالح وقالوا لا فائدة في العمل فانه لا يغيّر القدر وهذا ضلال لانهم اعتقدوا ان دخول الجنّة بلا عمل وتوبة ودخول النار بلا معصية وهذا خلاف النصوص لان الله تعالى وعد الجنّة لاهل الصالحات والنار لاهل المعاصي والشرك والكفر كما قال الله تبارك وتعالى مَن عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها. وقال تعالى اليوم تُجزى كلّ نفس بما كسبت وقال تعالى وان ليس الانسان الّا ما سعى وان سعيه سوف يُرى ثم يُجزاه الجزاء الاوفى .

الفصل الثاني عشر : في بيان الفقراء

انما سُمّوا صوفية. قال بعضهم لانهم كانوا يلبسون الصوف. وقال بعضهم لانهم صفّوا قلوبهم مما سوى الله تعالى. وقال بعضهم لانهم قائمون يوم القيمة في الصف الاول وهو عالمُ القربة لان العالم اربعة عالم المُلك وعالم الملكوت والجبروت واللاهوت وهو عالم الحقيقة وكذا الارواح اربعة روح جسماني وروح السرّ وروح سلطاني والرابع الروح القدسي. وكذا التجليات اربعة تجلي الاثار وتجلي الافعال وتجلي الصفات وتجلي الذات وكذا العقل اربعة الاول عقل المعاني والثاني عقل المعادي والثالث عقل الروحاني والرابع العقل الكلي ولهذه العوالم المذكورة والعلوم الاربعة والارواح الاربعة والتجليات الاربعة والعقول الاربعة المذكورات اهل. فبعض الناس مقيّدون بالعلم الاول وبالروح الاوّل وبالعالم الاول وبالتجلي الاول وبالعقل الاول وبعضهم مقيّدون بالثواني وبعضهم مقيّدون بالثوالث وبعضهم مقيّدون بالغفلة عن حقيقة الامر واهل الحقّ والعناية من الفقراء العارفين الكُمّل نفذوا من كلّها ووصلوا الى الحقيقة والقربة ولم يتقيّدوا بشيء سوى الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام وهما حرامان على اهل الله تعالى اي الدنيا والآخرة. وفي الحديث القدسي بحبتي محبة الفقراء. وقال عليه الصلوة والسلام الفقر فخري والمراد من الفقر الفنا بالله تعالى بحيث لا يبقى في نفسه لنفسه شيء ولا يكون في قلبه غير الله تعالى وغير حبّه كما قال تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي بل وسعني قلبُ عبدي المؤمن اي المؤمن الذي صفا قلبه من صفات البشرية وخلا من الاغيار فوسع الحق في قلبه بالانعكاس. وقال ابو يزيد رحمه الله تعالى لو ان العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما احسّ به. فمن احبّ هؤلاء المحبّين فهو معهم في الآخرة وعلامة حبهم حبّ محبتهم وطريقتهم والاشتياق الى الله تعالى ولقائه كما قال في الحديث القدسي خطاباً لداود عليه السلام طال شوق الابرار الى لقائي واني اشد شوقاً اليهم. واما لباسهم فهو على ثلثة اوجه صوف الغنم للمبتدئ وصوف الغنم للمتوسط وصدق المِرْعز للمنتهي وهو صوف المربّع. قال صاحب تفسير المجمع : ويليق كلّ خشن من الملبس والمطعم والمشرب لانهم اهل الابتداء ويليق بالعرفاء

الواصلين كلّ لين منها والظاهر عنوان الباطن فعمل المبتدئ متلوّن بالالوان الذميمة القبيحة والحميدة ومخلوط وعمل المتوسط متلوّن بالالوان الحميدة مثل انوار الشريعة والطريقة والمعرفة فلباسهم كذلك مثل البياض والزرقة والخضرة وعملُ المنتهي خالٍ عن الالوان مثل نور الشمس . فنورها لا يفيد الالوان مثل السّواد لا يقبل الالوان وهو علامة الفناء وهو نقاب نور معرفتهم كما انّ الليل نقابٌ نورَ الشمس. وقد قال الله تعالى وجعلنا الليل لباساً فيه اشارة لطيفة لمن له لبّ وايضاً اهل القربة في الدنيا سجن وغربة وغمّ وغصّة ومحنة وظلمة وشدّة كما قال عليه الصلوة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر فيليق بالظلمة لباس الظلمة وقد صحّ ان النبي صلعم لبس الاسود وتعمم بعمامة سوداء وهذا لباس البلاء موكلٌ بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل . وقال صلعم المخلصون على خطر عظيم وهذا كلّه من صفة الفقراء والفناء. وفي الخبر الفقراء سود الوجه في الدارين معناه لا يقبل الالوان والسواد بمنزلة خالٍ في وجه جميل يزيده جمالاً وملاحةً فاذا نظر اهل القربة الى جمال الله تعالى فبعد ذلك لا يقبل نور اعينهم غير الله تعالى ولا ينظرون الى ما سوى الله تعالى بالمحبّة بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله تعالى في الدارين لا يقصدون غيره تعالى لان الله تعالى خلق الانسان لمعرفته وصلته فالواجب على الانسان ان يطلب ما خُلق لاجله في الدارين كيلا يضيع عمره بما لا يعنيه .

الفصل الثالث عشر : في بيان الطهارة

وهي على نوعين طهارة الظاهر بماء الشريعة وطهارة الباطن بالتوبة والتصفية من المعاني الدنية وبسلوك الطريقة فاذا نُقض وضوء الشريعة يجب تجديد الوضوء بالماء كما ورد : من جدّد الوضوء جدّد الله ايمانه . واذا نُقض وضوء الباطن بالافعال الذميمة والاخلاق الدنية الردية وهي كالكبر والعجب والحقد والحسد والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والخيانة مثل الجناية بالعينين واليدين والرجلين والاذنين كما قال النبي صلعم العينان تزنيان الحديث فتجديد التوبة بالاخلاص عن هذه الامور المفسدات وتجديد الانابة بالندم والاستغفار يقيها من الباطن وينبغي للعارف ان يحفظ توبته من هذه الآفات لتكون صلوته تامة كما قال

الله تعالى هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ. فوضو. الظاهر وصلاته موقّتة كل يوم وليلة لخمس صلوات بخلاف الوضو. في الباطن فانه وصلاته مؤبدٌ في العمر في كل يوم وليلة وكل حين متصل .

الفصل الرابع عشر: في بيان صلوات الشريعة والطريقة .

اما صلوة الشريعة فقد عُلمت بهذه الآية : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والمراد اركان الجوارح الظاهرية بحركات جسمانية مثل القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود والصوت والالفاظ . واما صلوة الطريقة فهي صلوة القلب مؤبد . وقد عُلمت بهذه الآية بقوله تعالى والصلوة الوسطى. اي صلوة القلب لان القلب خُلق في وسط الجسد بين اليمين والشمال وبين العُلوي النوراني والسُفلي الظلماني وبين السعادة والشقاوة كما قال عليه الصلوة والسلام :ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. والمراد من الاصبعين صفة القهر واللطف فبهذه الآية والحديث يُعلَمُ ان الاصل صلوة القلب فاذا غفل القلب عن صلوته فسدت صلوته وصلوة جوارحه كما قال عليه الصلوة والسلام لا صلوة الا بحضور القلب المراد منه نفي ثواب الصلوة وفضيلتها لا نفي جوازها مطلقاً كما قال عليه الصلوة والسلام ان في جسد ابن بني آدم لمضغةٌ اذا صلُحت صلُح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وصلوة الشريعة ان يُصلي هذه الصلوات بالجملة متوجهاً للكعبة تابعاً للامام . واما صلوة الطريقة فهي مؤبدة في عمره ومسجدها القلب وجماعتها اجتماع القوى الباطنية على الاشتغال باسما. التوحيد وإمامها الشوق في الفؤاد وقبلتُها حضرة الاحدية وجمال الصمدية وهي القبلة الحقيقة والقلب والروح مشغول بهذه الصلاة على الدوام وهو لا ينام ولا يموت بل مشغول في النوم واليقظة بذلك بلا صوت ولا قيام ولا قعود فهو مخاطبٌ بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومتابعٌ للنبي صلعم. ففي تفسير القاضي هنا هذا اشارة الى حال العارف وانتقاله من حالة الغيبة الى الحضور. ولذلك قال النبي صلعم الانبيا. والاولياء يُصلّون في قبورهم اي مشغولون بالله تعالى ومناجاته لحياة قلوبهم . فاذا اجتمعت صلاة الشريعة والطريقة ظاهراً وباطناً فقد تمّت صلاته فله اجر عظيم في الدرجة والقُربة فيكون عابداً في الظاهر عارفاً في الباطن. واذا لم

تحصل صلاة الطريقة لحياة القلب فهو ناقص فيكون اجره من الدرجة لا من القربة.

الفصل الخامس عشر : في بيان طهارة المعرفة

في عالم التجريد على نوعين: طهارة معرفة الصفات وطهارة معرفة الذات. فطهارة معرفة الصفات لا تحصل الّا بالتلقين وتصفية مرآة القلب بالاسماء من النقوش البشريّة والحيوانية فيُصفي القلب ويحصل له بذلك النظر بعين القلب من عكس جمال الله تعالى. والمؤمن مرآة المؤمن. وكما ورد العالم ينقش والعارف يصقل فاذا تمّ التصفية بلازمة الاسماء حصّل معرفة الصفات بمشاهدتها في مرآة القلب. واما طهارة معرفة الذات في السر لا تحصل الا بلازمة اسماء التوحيد الثلاثة الاخيرة من الاسماء الاثني عشر في عين السرّ بنور التوحيد. فاذا تجلّت انوار الذات ذابت البشرية وفنيت بالكلّيّة. فهذا مقام الاستهلاك وفناء الفناء. وهذا التجلي يمحو جميع الانوار كما قال الله تعالى كل شيء هالك الّا وجهه فيبقى الرّوح القدس بنور القدس ناظرًا اليه ناظرًا به ومنه ومعه وفيه وله بلا كيف ولا تشبيه لان الله تعالى ليس كمثله شيء. فيبقى النور المطلق ولا يمكن الاخبار عما وراء ذلك لانه عالم المحو لا يبقى ثمّة عقلٌ يُخبرُ عنه ولا محرم غير الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام لا يسعني فيه ملكٌ مقرّب ولا نبيٌ مرسل وهذا عالم التجريد من غير الله تعالى كما قيل تجرّد تصل والمراد من التجرد فناء كل الصفات البشرية فيبقى في عالمه بصفة الله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام تخلّقوا باخلاق الله تعالى والله الموفق.

الفصل السادس عشر : في بيان زكاة الشريعة والطريقة

فزكاة الشريعة ان يُعطى من كسب الدنيا الى اهل الزكاة. واما زكاة الطريقة فهي ان يُعطى من كسب الاخرة كله في سبيل الله تعالى الى فقراء الدين والمساكين الاخروية. والزكاة تسمّى صدقة لان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تصل الى يد الفقراء. والمراد منه قبول من الله تعالى لها وزكاة الطريقة مؤبّدة وهي ان يُعطى ثواب كسب الاخرة للعاصين لرضاء الله تعالى فيغفر الله لهم وذلك مثل ثواب الصلوة والزكاة والصوم والحج وثواب التسبيح

وتهليل وتلاوة القرآن والسخاء وغير ذلك من الحسنات ولا يُبقي لنفسه شيئاً من ثواب حسناته ويبقى مفلساً. فالله تعالى يُحبُّ السخاوة والافلاس والمفلس في امان الله تعالى في الدارين. فالعبد وما في يده كان لمولاه. فاذا كان يوم القيامة اعطاه الله تعالى بكل حسنة عشر امثالها كما قال الله تعالى "من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة". والمراد من القرض ان يُعطي ما له من الحسنات في سبيل الله احتساباً لوجه الله تعالى شفقةً بلا منة ولا طلب عوض في الدنيا وهذا من قسم الانفاق في سبيل الله تعالى. قال الله تعالى: لن تنالوا البرّ حتى تُنفقوا مما تحبّون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم.

الفصل السابع عشر: في بيان صوم الشريعة والطريقة

فصوم الشريعة ان يُمسك عن المأكولات والمشروبات وعن وقاع النساء نهاراً وغير ذلك. واما صوم الطريقة فهو ان يمسك جميع اعضائه عن المحرّمات والمناهي والذمايم مثل الغيبة والاعجاب والكبر والبخل والحسد والحقد والنميمة والبهتان والكذب وغير ذلك ظهراً وباطناً. فكل ما يُبطل صوم الطريقة فهو ناقص اجراً وصوم الشريعة مؤقت وصوم الطريقة مؤبد في جميع عمره. قال صلعم: رُبَّ صائم ليس له من صومه الا العطش والجوع ولذلك قيل كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم اي يمسك اعضائه من الآثام وايذاء الناس بالجوارح كما قال الله تعالى في حديث قدسي: الصوم لي وانا أجزئ به. وقال عليه الصلوة والسلام للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند الرؤية. قال اهل الشريعة المراد من الافطار الاكل عند غروب الشمس ومن رؤية الهلال في ليله العيد. وقال اهل الطريقة الافطار عند دخول الجنة بالاكل مما فيها من النعيم وفرحة عند الرؤية اي عند لقاء الله تعالى يوم القيامة بنظر السرّ معاينةً. واما صوم الحقيقة فهو امساك الفؤاد عن محبّة ما سوى الله تعالى وامساك السر عن محبة مشاهدة غير الله تعالى كما ورد: الانسان سرّي وانا سرّه والسرّ من نور الله تعالى فلا يمسك غير الله تعالى وليس له سواه محبوب ولا مرغوب ولا مطلوب في الدنيا والآخرة فاذا وقعت فيه محبة غير الله تعالى فسد صوم الحقيقة. واما قضاؤه فانه يرجع الى محبة الله تعالى ولقائه وجزاء هذا الصوم لقاء الله تعالى في الآخرة.

كما قال الله تعالى: الصوم لي وانا اجزي به وهو النظر الى الجمال القديم الازلي.

الفصل الثامن عشر: في بيان الحج

وهو على نوعين: حج الشريعة وحج الطريقة. فاما حج الشريعة فهو ان يحج الى بيت الله تعالى بالشرائط والاركان حتى يحصل الحج وثوابه لان الله تعالى امر باقام الحج بقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فمن شرايط حج الشريعة الاحرام اولا ثم دخول مكة ثم طواف القدوم ثم الموقوف بعرفة ثم وقوف المزدلفة ثم ذبح الاضحية في منى ثم حلق الرأس ثم دخول الحرم ثم طواف بالبيت سبعة اشواط ثم ان يشرب من ماء زمزم ثم ان يصلي ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم ترك محرمات الاحرام من الصيد وقطع شجر الحرم ونحو ذلك فجزاء هذا الحج العتق من الجحيم والامنُ من قهر الله تعالى كما قال الله تعالى ومن دخله كان آمناً ثم طوافُ الوداع ثم الرجوع الى وطنه. واما حج الطريقة فزاده وراحلته الميل اولا الى صاحب التلقين ثم ملازمة الذكر باللسان وملاحظة معناه بالقلب حتى تحصل حياته ثم الاشتغال بذكر الباطن ليصفو بملازمة اسماء الصفات فتظهر كعبة السر بانوار صفات الجمال كما امر الله تعالى ابرهيم واسماعيل عليهما الصلوة والسلام بتطهير الكعبة المشرفة بقوله تعالى واوحينا الى ابرهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين. فكعبة الظاهر تطهيرها لاجل الطائفين من الخلق وكعبة الباطن تطهيرها لنظر الخالق فما اجدر هذه بالتطهير مما سواه تعالى ثم خرج بنور الروح القدس ثم دخل كعبة القلب ثم طاف طواف القدوم بملازمة الاسم الثاني ثم ذهب الى عرفات القلب وهو موضع المناجاة فوقف بها بملازمة الاسم الثالث والرابع ثم ذهب الى مُزدلفة الفؤاد وجمع بين الاسم السادس والخامس ثم ذهب الى منى السرّ وهي ما بين الحرمين فوقف بينهما ثم ذبح النفس المطمئنة بملازمة الاسم السابع لانه اسم الفناء الثاني ورفع حجاب الكفر كما قال عليه الصلوة والسلام الكفر والايمان مقامان ما وراء العرش وهما حجابان بين العبد وبين الله تعالى احدهما اسود وهو الجلالية والثاني ابيض وهو الجمالية. ثم حلق رأس الروح من صفات البشرية بملازمة الاسم الثامن ثم دخل حرم السرّ بملازمة الاسم التاسع ثم وصل الخلوة العاكفين فيتكف في بساط القربة

والانس بملازمة الاسم العاشر ثم رأى جمال الصمدية بلا كيف ولا شبيه ثم طاف سبعة اشواط بملازمة الاسم الحادي عشر وهي ستة من اسماء الفروع ثم يشرب من يد القدرة كما قال الله تعالى وسقاهم ربهم شراباً طهوراً بقدح الاسم الثاني عشر ثم يرفع الوجه الباقي فينظر بنوره الى وجه الله تعالى . وهذا معنى قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يعني كلام الله تعالى بلا واسطة الحروف والاصوات ولا خطر على قلب بشر يعني ذوق الرؤية والخطاب ثم حلل ما حرّم الله تعالى عليه بتبديل السيئات الى الحسنات بتكرار اسماء التوحيد كما قال الله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات. وقال عليه الصلوة والسلام اذا احب الله عبداً لم يضره ذنب والمعنى اذا احب الله العبد وفقه للتوبة فيتوب فلا يضره الذي صدر منه قبل التوبة . وقال النبي صلعم ما من شيء احب الى الله تعالى من شاب تائب ثم العتق من التصرفات النفسانية ثم الامن من الحزن والخوف كما قال الله تعالى. الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضله وكرمه. ثم طواف الوداع بتكرار الاسماء كلها ثم الرجوع الى وطنه الاصلي في عالم القدس في احسن التقويم بملازمة الاثني عشر ويتعلق بعالم اليقين وهذه التاويلات في دائرة اللسان والعقل . واما ما وراء ذلك فلا يمكن الاخبار عنه لانه لا تدركه الافهام والاذهان ولا يسمه الا الخواص كما قال عليه الصلوة والسلام : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بامر الله تعالى فاذا نطقوا به انكره اهل الغرة والعارف يقول ما دونه والعالم يقول ما فوقه فان علم العارف سرّ الله تعالى ولا يعلمه غير الله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى . وقال تعالى: ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء .

الفصل التاسع عشر : في بيان الوجد والصفاء

قال الله تعالى: تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية . وقال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الآية. وكما ورد جنبة من جنبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن لا وجد له لا دين له . قال الجنيد البغدادي الوجد

مصافاة الباطن فتُنتج وارداً من الله تعالى يورث او حزناً . الوجدُ على نوعين : وجد الجسمانية النفسانية ووجد الروحانية الرحمانية . فوجد النفسانية ان يتواجد بقوة الجسم بغير قوة الجذبة الغالبة الروحانية مثل الرياء والسمعة والشهوة كما ورد الشهوة آفة . وهذا القسم كله باطل لان اختياره غير مغلوب ولا مسلوب ولا تجوز الموافقة لمثل هذا الوجد . واما وجد الروحانية وهو ان تقوى الروحانية بقوة الجذبة مثل قراءة القرآن بصوت حسن او شعر موزون او ذكر مؤثر فلا يبقى للجسم حركة ولا اختيار وهذا الوجد الرحماني تستحبّ موافقته واليه الاشارة بقوله تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الآية وكذا اصوات العشاق والطيور والحان القواني . ففي كل ذلك قوة للروح ولا مدخل للنفس والشيطان في مثل هذا الوجد لان الشيطان في الظلمانية النفسانية ولا تصرُّفَ له في النورانيات الروحانية فانه يذوب منها كما يذوب الملح في الماء كما في الحديث . ففي قراءة القرآن واشعار الحكمة والمحبة والعشق والاصوات الحزينة قوت نوراني للروح . فالواجب ان يصل النور الى النور وهو الروح كما قال الله تعالى والطيبات للطيبين . واما اذا كان الوجد شيطانياً ونفسانياً لا يكون فيه نور بل ظلمانياً وكفراً وضلالاً والظلماني يصل الى الظلماني وهو النفس فيقوى به لانه من جنسه وشبيه الشيء فيجذب اليه كما قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين وليس للروح فيها قوة . فحركات الوجد نوعان : اختيارية كحركات الانسان الصحيح ليس في جسده ألم ولا مرض . فهذه الحركات للواجد غير مشروعة كما مرّ . والثاني الحركات الاضطرارية وهي التي تحصل بسبب آخر مثل قوة الروح فلا تقدر النفس على منعه لان هذه الحركات غالبة على الحركات الجسمانية مثل حركات المُحمى عليه لان الحمى اذا غلبت عجزت النفس عن تحصيلها فلا اختيار لها حينئذٍ . فالواجد اذا غلبت عليه الحركات الروحانية يكون الوجد حقيقياً وروحانياً ورحمانياً . والوجد والسماع آلة محركة لما في قلوب العشاق والعارفين . والوجد قوت لارواح المحبين ومقوّي الطالبين كما ورد : ان السماع لقوم فرضٌ ولقوم سنّة ولقوم بدعة . الفرض للخواص والسنة للمحبين والبدعة للغافلين . وكما ورد : من لم يتحرك عند السماع فليس منا حتى قيل من لم يحركه السماع بلشعاره والربيع بازهاره والعود باوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وهو ناقص عن الكمال

والطيور بل وعن سائر البهائم فان جميعها يتأثر بالنغمات الموزونة . فالجمال بالجد ويحصل لها الطرب والهيام وتقطع المسافة الطويلة في المدة القليلة. ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته. والوجد الى عشرة اوجه بعضها جلي يظهر اثره في حركات الجسم وبعضها خفي لا يظهر اثره في الجسد كميل القلب الى ذكر الله تعالى وقراءة القرآن العظيم بالصوت الحسن ومنها البكاء والتألم ومنها الحزن والخوف ومنها التأسف والحيرة وتولد عند ذكر الله تعالى ومنها التحسر والنفرة ومنها التغيرة في الظاهر والباطن ومنها الطلب والشوق ومنها الحرارة والمرض والعرق عند ذكر الله تعالى وغير ذلك من الواردات الرحمانية.

الفصل العشرون : في بيان الخلوة والعزلة

وهي على وجهين ظاهرة وباطنة . فالخلوة الظاهرة عزل نفسه وحبس بدنه عن الناس لئلا يؤذي الناس بالاخلاق الذميمة ولتترك النفس مألوفاتها وتحبس حواسها الظاهرة لتتجه الحواس الباطنة بنية الاخلاص. والموت ودخول القبر وتكون نيته في ذلك رضى الله تعالى ودفع شر نفسه عن المسلمين كما قال صلعم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وقال عليه الصلوة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فيكف لسانه عما لا يعنيه وكذلك بقية الجوارح كما قال عليه الصلوة والسلام سلامة الانسان من قبل اللسان وملامة الانسان من قبل اللسان وكف عينيه من الخيانة والنظر الحرام. قال تعالى: ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد . وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك في رجليه واذنيه . قال عليه الصلوة والسلام العينان تزنيان والاذنان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه ويحصل من كل زنى من هذه الاعضاء شخص قبيح في صورة الاسود يقوم معه يوم القيامة ويقعد معه في قبره ويشهد عليه عند الله تعالى ويأخذ صاحبه ليعذبه في النار فاذا تاب وحبس نفسه كما قال الله تعالى ونهى النفس عن الهدى وتبدل صورته الى صورة امرد مليح من غلمان الجنة وينجو من الشر وكأن الخلوة وحصنه من المعاصي فيبقى عمله صالحاً ويكون محسناً كما قال الله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين. وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه

احدًا، اي يكون خاليًا عن ما سوى الله تعالى. وما الخلوة الباطنة فهي ان لا يدخل في قلبه شيئاً من التفكرات النفسانية والشيطانية مثل محبة المأكولات والمشروبات والملبوسات ومثل محبة الاهل والعيال والحيوانات والرياء والسمعة ومثل ذلك من الصفات الذميمة كما ورد: الشهوة آفة وكلّ يتمناها والخمول راحة وكلّ يتوقاها ولا يدخل في قلبه شيئاً من الكبر والعجب والبخل والحسد والغيبة والنميمة والحقد والقهر والغضب وغير ذلك من الذمايم: فاذا دخل في قلب المختلي شيء من هذه الذمايم فسدت خلوته وقلبه وما في قلبه من الاعمال الصالحة والاحسان فيبقى القلب بلا منفعة كما قال تعالى: ان الله لا يُضيع عمل المفسدين وكل من في قلبه شيء من هذه المفسدات فهو من المفسدين وان كان في الظاهر في صورة المصلحين كما قال عليه الصلوة والسلام الغضب يُفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل. وقال عليه الصلوة والسلام الكبر والعجب يفسد الايمان. وقال عليه الصلوة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقال عليه الصلوة والسلام الغيبة اشد من الزنا. وقال عليه الصلوة والسلام: الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها. وقال عليه الصلوة والسلام البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهدًا عابدًا. وقال عليه الصلوة والسلام الرياء شرك خفي. وقال عليه الصلوة والسلام النمام لا يدخل الجنة وغير ذلك من الاحاديث الواردة والاخلاق الذميمة فهذا محلّ الاحتياط والمقصود اولًا من التصوف تصفية القلب منها قمع هوى النفس وقلعه من اصله يحصل بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر بالارادة والمحبة والتوبة والاخلاص والاعتقاد الصحيح الذي سالكاً على آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن المشايخ والعلماء العاملين بعلمهم رحمهم الله تعالى فاذا حُبس المؤمن الموحد في الخلوة بالتوبة والتلقين وحافظ على هذه الشروط المذكورة خلّص الله عمله وعلمه وقلبه ولين جلده وقلبه وطهّره ولسانه وجمع حواسه في الظاهر والباطن ورفع عمله الى حضرته وسمع دعاءه اي قبله كما يقال: سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى ثناءه ودعاءه ونداءه وتضرعه واناله غرضه من القربة والدرجة كما قال الله تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والمراد من الطيب الخالص وخفظ لسانه من اللغو لكونه آلة لذكر الله تعالى وتوحيده كما قال الله تعالى قد

افلح المؤمنون هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الآية: فيرفع الله العلم والعمل والعامل الى رحمته وقربته ودرجاته بالمغفرة والرضوان واذا حصلت هذه المراتب للخلوة كان قلبه كالبحر لا يتغيّر كما ورد: كن بحرًا لا يتغيّر فيموت بريات النفسانية كما غرق فرعون وآله في اليمّ فتكون سفينة الشريعة جارية عليه وتكون الروح القدسية غائصة الى قعره فيصل الى درّ الحقيقة ويخرج من مكنون لؤلؤ المعرفة ومرجان اللطايف كما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان لان هذا البحر حصل من مجمع بحري الظاهر والباطن فلا يمكث فيه الفساد في القلب لا يغيّره وتكون توبته ناصحة وعمله نافعاً صالحاً لا يميل الى المعاصي ويكون السهو والنسيان معفوًا بالاستغفار والندم.

الفصل الحادي والعشرون: في بيان اوراد الخلوة

وينبغي ان يجلس في الخلوة صائماً ان استطاع ويصلي الصلوات الخمس في الجماعة باوقاتها لان الصلوة الواحدة مع الجماعة افضل من سبعين صلاة بغير جماعة مع سنتها وشرايطها واركانها على التعديل ويصلي اثني عشرة ركعة بعد نصف الليل او ثلثة بنيّة التهجّد كما قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويصلي ركعتين بنيّة الاشراق بعد طلوع الشمس وركعتين بعده بنيّة الاستعاذة بالمعوذتين وركعتين بعده بنيّة الاستخارة وستّ ركعات بعدها بنيّة الضحى وركعتين بنيّة كفّارة البول يقرأ في كل ركعة انا اعطيناك الكوثر سبع مرات بعد الفاتحة فاذا صلى ذلك كفّر ذنوب البول ونجا من عذاب القبر. كما قال عليه الصلوة والسلام: انتزعوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه. ويصلي اربع ركعات بنيّة صلوة التسبيح يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة بعدها ويقول بعد القراءة في القيام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم يركع ويقول في الركوع عشر مرات ثم يقول قائماً ويقول في الاعتدال ايضاً عشر مرات ثم يقول في السجدة الاولى ايضاً عشر مرات ثم يرفع رأسه ويقول بين السجدتين عشر مرات ايضاً ويقول في السجدة الثانية عشر مرات ويقول في قيام الركعة الثانية قبل قراءة الفاتحة خمس عشرة مرة وهكذا يفعل في الركعة الثانية والثالثة والرابعة ويصلي هذه الصلوة كما ذكر في كل يوم او ليلة مرة ان

استطاع . والا ففي كل اسبوع مرة والا ففي كل شهر مرة والا ففي كل سنة مرة والا ففي عمره مرة قال النبي صلعم لعمه العباس رضي الله عنه ما معناه يا عم الا احبوك الا امنحك الا اتحفك الا اهديك. وذكر له هذه الصلوة وقال له ما ذكرتم ذكر ثوابها بانه ذنوبه كلها وان كانت اكثر من عدد الرمال وعدد نجوم السما. وعدد الاشيا. كلها ثم يقرأ دعاء السيفي كل يوم مرة او مرتين ويقرأ من القرآن في كل يوم مقدار مايتي آية كما وردتم يذكر الله تعالى ذكرا كثيرا اما جهرا ان كان من اهل الجهر او خفية تضرعا وخيفة ان كان من اهل الخفية ومقام الخفية بعد حيوة القلب ونطقة بلسان السر. كما قال الله تعالى واذكروه كما هديكم الى مراتب ذكركم في مقام وادب يعرفه اهله ويقرا. قل هو الله احد كل يوم مائة مرة ويصلي على النبي صلعم مائة مرة ويقول استغفر الله واتوب اليه مائة مرة ايضا ثم ان استطاع زاد ما شا. من النوافل والتلاوات وما تقدم والله المعين .

الفصل الثاني والعشرون: في بيان الواقعات في النوم والسنة

قال الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . قال تعالى عن يوسف عليه السلام اني رأيت احد عشر كوكبا الآية . وقال النبي صلعم لم يبق بعد النبوة الا المبشرات يراها المؤمن او ترى له والمراد منها الرؤيا الصالحة لما قال صلعم الرؤيا الصالحة جزؤ من ستة واربعين جزءا من النبوة . وقال عليه الصلوة والسلام من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي اي يتابعني بنور الشريعة والطريقة وعلم المعرف وبنور الحقيقة والبصيرة . كما قال الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فلا يتمثل الشيطان بهذه الانوار اللطفة كلها . قال صاحب المظهر : هذا ليس لاختصاص النبي صلعم بل لا يتمثل بكل ما هو مظهر الرحمة واللطف والهداية كجميع الانبيا. عليهم الصلوة والسلام والاوليا. والملائكة عليهم السلام والكعبة والشمس والقمر والسحاب الابيض والمصحف وامثال ذلك لان الشيطان يظهر القهر والجلال فلا يظهر الا في صورة اسم المضل فمن كان يظهر الاسم الهادي كيف يظهر بصورته فان الضد لا يظهر بصورة الضد لما بينهما من التنافر والتباين وليتميز الحق والباطل كما قال الله تعالى كذلك يضرب الحق والباطل. وقال الله تعالى. ليميز الله الخبيث

من الطيب: واما تمثيله في صورة الربوبية فانما هو من جهة اسم المثل فقط كما مرّ ولا يظهر في صورة اسم الجامع القديم لما فيه من معنى الهداية واللطف والرحمة وفيه كلام يطول شرحه. وقوله تعالى على بصيرة: انا ومن اتبعني اشارة الى الوارث الكامل المرشد اي الارشاد بعدي لمن له بصيرة باطنية مثل بصيرتي من وجهٍ. والمراد منه الولاية الكاملة كما اشار اليه في آية اخرى وليًّا مرشدًا ثم الرؤيا على نوعين احدهما افاقي خارج او نفساني وكل واحد منهما على نوعين فالنفساني الداخل اما من الاخلاق الحميدة او الذميمة. فالحميدة مثل رؤية الجنان ونعيمها والحور والقصور والغلمان والصحراء السهلة والنور الابيض مثل الشمس والقمر والنجوم وما اشبه ذلك. وكل ذلك يتعلق بالقلب. واما ما يتعلق بالنفس المطمئنة منه الصفة الحميدة نحو مأكول اللحم من الحيوانات الشرعية والطيور لان معيشة المطمئنة في الجنة تكون من هذه الانواع كشوي الغنم والطيور واما البقر فانه اتى من الجنة لادم عليه السلام لاجل الزراعة في الدنيا. واما الابل فانها منها ايضًا كالبقر لانها من (×) الكمية الظاهرة والباطنة. واما الخيل فانها ايضًا منها لانها آلة الجهاد (××) وذلك للآخرة. وفي الحديث ان الغنم (×) من عل الجنة (×××) الجنة والبقر من زعفرانها والخيل من ريحها والحمير من حجارتها لاجل مصلحة ادم عليه السلام وذريته لكسب فوائد الاخرة في الدنيا. واما ما يتعلق منها بالروح فهو مثل الشاب الامرد والانوار الالهية لان اهل الجنة على هذه الصورة كما قال عليه الصلوة والسلام: اهل الجنة جرد مرد مكحلون وورد. رأيت ربي على صورة شاب امرد. وقال بعضهم المراد من مثل هذا تجلي الحق بصفة الربوبية على مرآة الروح وهو الذي يسمونه بطفل المعاني لانه مربٍّ للجسد ووسيلة بينه وبين الرب. قال علي كرم الله وجهه: لولا المربي لما عرفت ربي. وهذا المربي الباطني انما يحصل بسبب تربية مربٍّ ظاهر بالتلقين فالانبياء والاولياء يربّون القالب وتربية القلوب ما يحصل من تربيتهم من القاء روح آخر كما مرّ وطلب المرشد لاجل هذا الروح الذي به يُحيي القلب ويعرف به ربه فافهم. قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى: يجوز ان يُرى الرب عزّ وجل في المنام على صورة جميلة اخرويّة على التأويل المذكور. قال لانّ هذا المربي يخلقه الله تعالى على قدر استعداد الرأي مناسبة لا على حقيقته الذاتية لانه تعالى

منزه عن الصورة بذاته وكذا رؤية النبي صلعم على هذا القياس يجوز ان يُرى على صورة مختلفة على قدر مناسبة الرائي ولا يرى الحقيقة المحمدية الا الوارث الكامل في علمه وعمله وحاله وبصيرته ظاهراً وباطناً. وكذا قال في شرح مسلم: تجوز رؤية الله تعالى في صورة البشرية النورانية على التأويل المذكور. وكذا القياس في تجلي كل صفة (÷) كما تجلى لموسى عليه الصلوة والسلام في صورة النار (×××) وكانت تلك النار نوراً لكن سمّيت (××) عليه السلام وطلبه لا كان اذ ذاك في طلب النار ذلك الوقت وليس الانسان ادنى مرتبة من (×) فلا عجب ان يتجلى بصفة من صفاته في الحقيقة الانسانية دون الحيوانية كما تجلى لكثير من الاولياء كابي يزيد حيث قال: سبحاني ما أعظم شاني. وكالجنيد حيث قال: ليس في جبتي سوى الله تعالى. ونحو ذلك. وفي هذا المقام لطائف عجيبة لاهل التصوف يطول شرحها ثم في التربية لا بدّ من المناسبة جزماً فالمبتدى في اول امره لا مناسبة بينه وبين الله تعالى ولا بين نبيّه صلعم فاحتاج لا محالة الى تربية الوليّ اولاً لان بينهما مناسبة من جهة البشرية كما للنبي صلعم حال حياته. فلو كان النبي صلعم في الحياة الدنيوية لما احتاج احد الى غيره عليه وسلم. واما حيث انتقل الى الآخرة انقطع من صفة التعلق ووصل الى محض التجرد وكذلك الاولياء اذا انتقلوا الى الاخرة لا يوصل ارشادهم الى المقصود فافهم. فلم يبقَ للمبتدى معهم مناسبة. واما الولي فله مناسبة به لان له جبتي التعلقية والتجردية من جهة الوارثية الكاملة فيتولّى بالولاية النبويّة ويتصرّف بها في الخلق فافهم. فان ما وراء ذلك سرّاً عميقاً يدركه اهله. قال الله تعالى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين. واما تربية الارواح فالروح الجسمانية مربّ في الجسم والروح الروان مربّ في القلب والروح السلطاني في الفؤاد والروح القدسي في السرّ وهي الواسطة بينه وبين الحق ومترجمه من الحق تعالى الى الحق لانه اهل الله تعالى ومحرمهُ. واما الرؤية التي هي من الاخلاق الذميمة من صفات الامارة واللوّامة الملهمة فهي ان يرى السباع كالنمر والاسد والدب والذيب والكلب والخنزير ومثل الارنب والثعلبّ والهرة والفهد ومثل الحية والعقرب والزنبور وغير ذلك من الموذيات فهذه هي الصفات الذميمة التي يجب الاحتراز منها وتجب اماطتها من طريق الروح. فاما النمر فهو من صفة العجب والكبر

على الناس والاسد صفة الكبر والتعظم على الخلق. واما الدب فهو صفة الغضب والغلبة على النحت والذيب صفة أكل الحرام والشبهات من بين والكلب من صفة حب الدنيا والقهر لاجلها والخنزير من صفة الحقد والحسد والحرص والشهوة والارنب صفة الحيلة والمكر في المعاملة الدنيوية والثعلب منه ايضاً لكن في الارنب الغا غالبة والفهد الفر الجاحل وحب الرياسة والعزّ والحرّة صفة البخل والنفاق والحية صفة الايذاء باللسان كالشتم والغيبة والنميمة والكذب والطمع والعقرب من صفة الفخر واللمز والهمز والنميمة والزنبور من صفة ايذاء الخلق باللسان خفية. وقد تدل الحية على العداوة مع الناس واذا رأى السالك يحارب مع هذه المؤذيات ولم يغلب عليها بعد فليجتهد في العبادة والذكر حتى يغلب عليها ويقهرها وتفنيها ويبدلها الى صورة البشرية. فان قهرها وقتلها بالكلية فهو تكفير السيئات في قول الله تعالى في حق بعض التائبين: كفّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم. وان رأى انها تبدّلت الى الصورة الانسانية فهو معنى تبديل السيئات الى كما قال الله تعالى في حق بعض التائبين: الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فقد خلص منها فينبغي ان لا يأمن منها بعد ذلك لانه اذا وجدت النفس قوة من جناية العصيان تقوّت وغلبت على المطمئنة ولذلك امر الله تعالى ان يجتنب العبد من المناهي في جميع الاوقات في الدنيا وقد يرى ذات النفس الامّارة على صورة الكفّار واللوّامة على صورة اليهود والملهمة على صورة النصارى وكذا في صور المبتدعة.

الفصل الثالث عشر: في بيان اهل التصوّف

وهم اثنا عشر فرقة احدهما سنيّة افعالهم واقوالهم موافقة للشريعة والطريقة جميعاً وهم اهل السنة والجماعة فيدخلون الجنة بعضهم بلا حساب ولا عذاب وبعضهم بحساب يسير وعذاب قليل فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ولا يخلدون في النار كالكافر والمنافقين والبواقي بدغيون ضالّون. فمنهم الخلوتية والحالية والاولياثية والشراخية والحورية والاباحية والحبثية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والالهامية. فاما مذهب الخلوتية فانهم يقولون ان النظر الى

الوجه الجميل من النساء والامرد حلال وفيه صفة الحق فيرقصون ويدعون التقبيل والمعانقة وهذا كفر محض . واما الحالية فانهم يقولون الرقص وضرب اليدين حلال ويقولون للشيخ حالة لا يعتبر فيها الشرع وهذا بدعة قبيحة ليست في سنة رسول الله صلعم . واما الاوليائية فانهم يقولون اذا وصل العبد الى مرتبة الاولياء سقط عنه تكليف الشرع. ويقولون الولي افضل من النبي وهذا كفر: واما الشمراخية فانهم يقولون الصحبة قذية وبها يسقط الامر والنهي ويحلون الدفّ والطنبور وباقي الملاهي ولا حلال ولا حرام بينهم من جهة النساء ودمهم مباح . واما الحبتية فانهم يقولون: اذا وصل العبد الى درجة المحبة يسقط عنه التكاليف ولا يستترون عوراتهم . واما الحورية فانهم كالحالية لكن يدّعون وطء الحور في حالاتهم فاذا افاقوا اغتسلوا . واما الاباحية فيتركون الامر بالمعروف وينبحون المناكر والمحرّمات والفروج. واما المتكاسلة فيتركون الكسب ويسئلون من الابواب . واما المتجاهلة فيلبسون لباس الفساق . واما الواقفية فانهم يقولون : لا يعرف الله غير الله تعالى . واما الاظامية فيتركون العلم وينهون عن التدريس ويتابعون الحكماء ويقولون القرآن حجاب والاشعار قرآن الطريقة فمن تشبّه بقوم فهو منهم. كما قال ذلك النبي صلعم. وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار . وفي فقه الباطن ان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين كانوا اهل الجذبة بقوّة صحبة النبي صلعم ثم انتشرت تلك الجذبات من آخر الخلفاء عليّ كرّم الله وجهه الى مشايخ الطريقة ثم تشعّب منهم سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقي منهم رسميّون في صورة الشيخية بلا معنى ثم تشعّب منهم اهل البدع فانتسب بعضهم الى قلندر وبعضهم الى حيدر وبعضهم الى ادهم والى غيرهم ممن يطول ذكرهم وشرحهم ثم في هذا الزمان اهل الفقر والارشاد اقلّ من القليل ويعلم اهل الحق منهم بشاهدتين احدهما ظاهر والآخر باطن . فالظاهر موافقة الشريعة ونهياً كاملاً . والباطن ان يكون سلوكه بمشاهدة البحر والبصيرة فيرى من يقتدي به وهو النبي صلعم فتكون روحانية النبي صلعم واسطة بينه وبين الله تعالى او جسمانيته في محلّه. فان الشيطان لا يتمثّل به صلعم فتكون منه الى المريد السالك فلا يكون على العياء. وههنا دقايق في التمييز يُدركها اهلها .

الفصل الرابع والعشرون : في بيان الخاتمة

ينبغي للسالك ان يكون فطناً :

ان لله عبّادًا فطنـاً طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا انها ليست لحيّ وطنا
جعلوها الجنّة واتخذوا صالح الاعمال منها سفنا

فيكون ناظرًا الى خواتم الامور متفكرًا وادبارها ولا يتغير بظاهر جلاوة الاحوال. فقد قال اهل الصفوف ان الساكتة الى الاحوال تعقل عن محلها. قال الله تعالى: فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون. وقال النبي صلعم في الحديث القدسي يا محمد بشر المؤمنين باني غفور وانذر الصدّيقين باني غيور فان كرامات الاولياء. واحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج بخلاف معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانها مأمونة من ذلك ابدًا وقد قيل: خوف الخاتمة سبب النجاة من سوء. قال الحسن البصري ان اولياء الله بالخوف ارتفعوا فينبغي ان يكون الخوف غالباً لئلا تخدعه البشرية فتقطع سبيله من حيث لا يشعر. قالوا يكون الخوف في الصحة غالباً ويكون الرجاء في مرض الموت غالباً. قال عليه الصلوة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاستويا. واما في حالة النزع فينبغي ان يكون رجاءه في فضل الله تعالى اغلب كما قال عليه الصلوة والسلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى، يعني يتفكر في سعة رحمته وغلبتها على غضبه ويتفكر في استغنائه انه تعالى ارحم الراحمين فيفرّ من قهره الى لطفه ومنه اليه راجعاً متذللاً متضرّعاً متملقاً معتذرا معترفاً بما اقترف من الذنوب مقبلاً على باب الله متوقعاً فيض الطافه وعفوه عن ذنوبه انه هو البرّ الرحيم والجواد الكريم. اللهمّ يا هادي الضالين ويا راحم المذنبين بلطفك كاف عن المقال وكرمك وافٍ على السؤال صلّ على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه بالنوال واغفر لنا ولوالدينا والمسلمين اجمعين.